طفولة هذا السياج

عز الدين المناصرة

[من مجموعة شعرية تصدر قريباً بعنوان: لا أثق بطائر الوقواق]

١ ـ ابتسامة مضيفة

حلزونٌ أنيقٌ
يُتَفْتِفُ كالبحر فجراً
له شاربانْ
وله مَجْمَرٌ ورمادٌ وروثٌ،
له في الحديقة
كأسٌ وغليونُهُ خشب السنديانْ
وله نفثةٌ مثل هذا الفحيحْ
سَلِسٌ كالقطار على الرمل ينسابُ
كي يستريحْ
يتحدثُ كل اللغاتِ الفصيحةِ منها
وغير الفصيحْ
المَحارُ الذي مثل شاعوبةِ السّمِّ
بين نواجذه أفعوانْ
فالمجالسُ أسرارها عنده ظُلْمةٌ
ومؤامرةُ الجُلنّارْ
كعكبانيةُ اللونِ
رائحة القتل منها تفوحْ.
أيُها الاصفرارْ
إيها الحلزون الجريحْ
أيها الحلزونُ الذي باقَني مَرّةً، وابتسامتُهُ
كالمضيفةِ ليستْ تُريحْ
كان ودَّعني
قُبلةً
طعنةً مثل عارْ
قال لي: كم أحبُّكَ
قلتُ: صحيح؟!

٢ ـ عاصفةُ عصافير

وَرَسٌ في كوب الشاي الأخضرْ
وَرَسٌ في رأس الحانوتْ
وَرَسٌ في أجنحة عصافيرِ شَرقْرَقْ
وَرَسٌ فوق مقاعد مقهى أندلسيٍ مهجورْ
يرتطمُ العصفور مع العصفورْ
وَرَسٌ فوق جدار القلعةِ فاجأني
في شرفة هذا الفندقْ
وَرَسٌ يحتلُّ ذؤابات الأشجارْ
مدرسةٌ من عهد [إبنْ خلدونْ]
مشفى من قاع الصمت الغرناطيّ
مخطوطاتٌ صاغ قصائدَها إبْنُ مُسايبْ
عاصفةٌ لملايين عصافير الدوريّ تحاصرني
وأنا في طقس القلعة مهزوز الأركانْ
عاصفةُ الرقص البدويّ الباريسيّ النعسانْ
خلخلتِ القاعةَ، حتى انزعج الزيّانيّونَ
على تلك الأسوارْ
رملُ الصحراء الأحمر
يغتصبُ شبابيك الزلّيجْ
منفياً في هذا الفندقِ
كانت صرختُهُ الأولى
حَفْلٌ أندلسيٌّ الألوانْ
لولادة كنعانْ
الولد الأزعر
يسألني من أنتَ إذا انْقضَّتْ عُقْبانْ
نَهَشَتْ أطراف فريستها وابتردتْ
بثلوج الحيتانْ
أتدفأ مرج موشحها الأسمرْ
في [تلٍّ من ماءٍ سالَ]
على الشطآن الحجريةِ
ثمّ تَرَقْرَق
خذني للبريَّة
خذني لكروم اللغة المفقودة في جبلٍ مفقودْ.
ظلّ الزيّانيّونَ على أسوار القلعة والفُندقْ
فوق ظهور الخيل العربيّة يمتشقون الموّالْ.

٣ ـ صباحٌ أصفر يليه ثلج

منذُ الرومانِ انتشرت حبّاتُ الثلجِ
على جبل الأسلاف المنسيين
سيوفاً ورحيلاً مُنذُ الرومانْ
تركتْ خطاً أثرياً في رمل مبلولْ
منذ المقتولْ
منذ المصلوب على خشب البلّوط الولهانْ
منذ الأندلسيّ المنشور على سطح الخانْ
صَعَدَ البلبل فوق تلالكِ مريامْ
غنّى أغنية العنب الأصفر
فارتعش على باب مغارته الغولْ
صَدِئتْ أحواضُ النعناعْ
فاضَ السيل الأزرق تحت سماء القيعانْ
فانفجر نبيذٌ ممنوعٌ مجهولٌ
منْ يذكر دَمه ونخيل سقائفه الآنْ
من يذكر وِقْفَتَهُ بوثائقه الصفراءْ
منَ يذكر رعشته في طابور الأسرى
من يتذكر حيرته في الترانزيت البدويّ!!!
لَغْمَطْتُ جبيني بالندم الداكن في الغورْ
هل كانت أفعى الشبق رماديّهْ
تتصيّد ينبوعاً
يتدفق في قلب مغارتها الليليَّهْ؟
هل كان العنبُ المنقوعُ بكارتَها؟
أتنفّسُ رملاً من طوبْ
قد يأتي بعد الصحراء الثلجُ المغسولْ
قد يأتي عَسَلُ الملكاتِ الشُقْرِ
على كعب أخيلْ
صُبحٌ برمالٍ سوداء يليه الثلج المسكونْ
فاجأني فارتعش القلب المعطوبْ
أنتظر مسيحي المصلوبْ
أنتظر مسيحي المصلوب.

٤ ـ طفولة هذا السياج

نَتَفَتْ وردةً من سياج الحديقة
ثم انتشتْ، صَهْلَلَتْ، رشقتني بها
فتحرّك في داخلي أرنبانْ.
كَمَّسَتْ قبضةَ الثلجِ بعد الربيعْ
شلّحتني قميصي فقررتُ أن أقضم السِلْسِلَهْ.
لي يدانْ
طفلةٌ نثرتْ شعرها في الهواءِ
ارتختْ حين دلّعتها بالأغاني
الحنونةِ في المنعرجْ.
عند نهرٍ من الماس، يمشي بطيئاً، لَهُ ثغرةٌ قاتله
ولها صبر أيوب مثلي،
على صدرها علّقتْ سنبلهْ
طفلةٌ ولّعتْ صمت هذي المروجْ.
قال نهر السماء لها في وَلَهْ:
يا سماوية الروح، هذا الصفاءُ
على سطح هذي الصفاة فلا تكثري
الأسئلهْ.
قال نهر السماء لها: يا ربيعية المشمشِ
البلديِّ يفوح اصفراراً
أذوقُ أذوقُ أذوقْ
أيّها البدويُّ أما ترعوي،
أوقفِ المرجله.
إنْ هبطتَ الى القاعِ
خلفكَ نهرُ عويلْ.
المهايا قبائلُ في سفحِ مكناسَ
ينتظرون الإشارات في الطُرقاتِ
ولا يأبهون لطول الزمانْ.
المهايا، بقية أهلي، سوالفهمْ أُرجوانْ
قال نهرُ السماء لها:
زنبقٌ شمّني وصنوبرةٌ عضّت الروحَ
مني على باب فاسْ
قال بنّيسُ: هذا زمانَ النُعاسْ.
قد تكون امرأة
نطرتْني طويلاً على ثغرة الاعوجاجْ
عذّبتني قليلاً على درج العُشْبِ
قُرْبَ طفولة هذا السياجْ.

فلسطين (عمان)